

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ İLAHİYAT FAKÜLTESİ DERGİSİ

مجلة كلية الإلهيات في جامعة بينكول

Bingol University
Journal of Theology Faculty



ISSN: 2147-0774

Sayı: 11 | Yıl: 2018/1

Bingöl Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi (BÜİFD), yılda iki kez (25 Haziran/25 Aralık) basılı yayımlanan ulusal hakemli bir dergidir.

Bu dergi ulusal TR DİZİN, İSAM, İDEALONLİNE ve ASOS veri indeksleri ile SOBİAD atf dizin tarafından taranmaktadır.

BÜİFD dergisinde yayımlanan yazıların bilimsel ve hukukî sorumluluğu yazarlarına aittir.

Yayımlanan yazıların bütün yayın hakları yayıncı kuruluşa ait olup, izinsiz kısmen veya tamamen basılamaz, çoğaltılamaz ve elektronik ortama aktarılamaz.

التحليل البلاغي للظاهرة الصوتية في القرآن (المنهجية وخصوصية النص)

لؤي خليل* / Loui KHALIL

Geliş Tarihi: 02.02.2018, Kabul Tarihi: 26.02.2018

الملخص

أول ما قد يتبادر إلى الذهن عند الإقبال على دراسة التحليل البلاغي للصوت في القرآن الكريم هو السؤال عن السبب الذي من أجله صُعِبَ الطريق الصوتي على البلاغيين، وعن الكيفية التي يحسن بها معالجة مثل هذا الموضوع؟

لعل الذي أسس لتلك الصعوبة هو نقص المرجعية الدلالية للأصوات؛ من جهة المعجم اللغوي الصوتي، أو من جهة العرف بين المتكلمين - وكلاهما مرتبط بالآخر؛ فليس لدارس الصوت معجمٌ لغوي لمعاني الأصوات يبني عليه أحكامه، كما هو الحال في معاجم المفردات (الكلمات)، كما أنه ليس للصوت في نطاق التداول معنىً في ذاته يمثل عرفاً عاماً، إذ الغالب عليه أن يأتي مصحوباً بالتحيزات النفسية والذهنية لمستعمله، وهذا ما يجعل الخوض في الحقل الصوتي ضرباً من المغامرة الخطرة، لا هادي فيها ولا دليل غير الرأي الذاتي، مما يجعلها عرضةً للاتهام بالخروج عن المنهج العلمي القائم على التعليل والتجريب، والذي تتصف نتائجه عادةً بقدر كبير من الثبات. تحاول هذه الدراسة أن تمهّد شيئاً من ملامح الطريق للسالكين؛ أو تضع تصوراً أقرب ما يكون إلى المنهج المنظم الذي يحسن بالدراسات البلاغية الصوتية أن تتبعه.

الكلمات المفتاحية: علم القراءات القرآنية، التحليل البلاغي، المرجعية الدلالية، الظاهرة الصوتية، المعجم اللغوي الصوتي.

* Doç. Dr., Katar Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, Arap Dili Anabilim Dalı,
(loui.khalil@qu.edu.qa).

Kur'an'da Fonetik Olgusunun Belađı Analizi Metnin Metodolojisi ve Özellikleri

Öz

Kur'an'daki Fonetik olgusunun belađı analizini incelediđimizde, akla gelebilecek ilk soru: Belađatçılar açısından fonetiđi incelemenin zor oluřunun nedeni nedir? Bu konu ile bařa çıkmanın en iyi yolu hangisidir?

Belki de bu zorluklar, seslerin semantik referanslarının eksikliđinden kaynaklanmaktadır. Hem fonetik sözlük açısından, hem de konuşmacılar arasındaki gelenek açısından. Ki bunların ikisi de birbirleri ile bađlantılıdır. Zira fonetiđi inceleyen belađatçının seslerin anlamları için kendi hükümlerini temellendirebileceđi dilbilimsel bir sözlüğü yoktur; Kelime Sözlüklerinde olduđu gibi. Buna ek olarak, kullanım alanındaki seslerin genel bir kabul görevi gören bir anlamı yoktur. Çünkü genellikle kullanıcının psikolojik ve zihinsel önyargıları eşlik eder. Bu, ses alanını incelemeyi tehlikeli bir girişim kılar. Zira kişisel görüşler dışında herhangi bir kılavuz ya da delil bulunmamaktadır. Böylece de bu görüşler suçlamalar için savunmasız bir hedef haline gelir.

Bu çalışmada belađat arařtırmacıları için bir yol açmayı hedefleyerek, yöntemle benzer sistemli bir bakıř açısı önermekteyiz.

Anahtar Kelimeler: Kıraat ilmi, Belađı analiz, Semantik, Fonetik, Fonetik sözlük.

The rhetorical analysis of the phonetics phenomenon in Qur'an methodology and particularity of text

Abstract

The first question that may come to mind, when we want to study the rhetorical analysis of the phonetics phenomenon in Qur'an, is: why was the phonetic method so difficult for the rhetoric, and which is the best way to deal with this topic?

Perhaps the difficulties lie in the lack of semantic references for the sounds; concerning the phonetic dictionary, and the tradition between speakers. Both of them are linked to each other. The Rhetorical who studies phonetics does not have a linguistic lexicon of the sounds meanings, to build his judgements on, as the case in vocabulary dictionaries is. In addition to that, the sounds in the field of pragmatics do not have a meaning considered as general acknowledgement, as it generally comes accompanied by the psychological and mental prejudices of its user. That makes wading into the audio field a dangerous venture, with no guide or evidence other than personal opinion, which makes it a vulnerable target for the charges.

This study is trying to pave the way for researchers; or suggest a point of view that approaches a well-organized method, and that is best suited to rhetorical studies.

Keywords: Qur'anic Recitation, Rhetorical analysis, Semantic, phonetics, Phonetic dictionary.

هذا طريقٌ وعزٌّ المسلك صعبُ المرتقى، لم تَهْدِبهُ خطواتُ السائرين؛ لَقَلَّتْهُمْ. وَمَنْ قَصَدَهُ لَمْ يَخْتَطِّ لِمَنْ يَخْلُفهَ مساراً ذا علامات؛ فيسير مَنْ يَسِيرُ بَعْدَ عَلَيَّ بِيْنَةَ، إِذْ جُلُّ مِنْ أَسْهَمٍ فِيهِ رَمَى بِسَهْمٍ مِنْ كِنَانَةِ ذَوْقِهِ وَعَلِمَهُ، فَجَمَعَ بَيْنَ الدَّرَايَةِ وَالآلَةِ. وَإِنْ كَانَتْ الآلَةُ تُعَلِّمُ وَتُقَلِّدُ، فَلَيْسَ كَذَلِكَ الْحَالُ مَعَ الدَّرَايَةِ، وَالْأَمْرُ فِيهَا مَنْوُطٌ بِالدَّوْقِ، وَلَيْسَ لِلذَّوْقِ قَاعِدَةٌ أَوْ خِطَّةٌ!! ذَاكَ لِعَمْرِي سَبَبٌ لِاخْتِلَافِ الآرَاءِ- عَلَيَّ قَلَّتْهَا- فِي كَثِيرٍ مِنْ فُرُوعِ هَذَا الطَّرِيقِ.

غير أنه لا شيء يجمع من تقصُّم هذا الباب، مادام عذر التقصير قد سبق. ذاك مع قوة العزيمة، وصدق الجهد، والاستعداد بالآلة اللازمة؛ بحيث لا يُكْتَفَى بِالدَّوْقِ دُونَ الْعِلَّةِ، حَتَّى لَوْ كَانَتْ مِمَّا يُخْتَلَفُ فِيهِ. وَعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّا مَاضُونَ فِي هَذَا الْبَابِ، لِلْكَلامِ عَلَيَّ مَا نَسْتَطِيعُ، فِي إِطَارِ مَا اخْتَرَنَاهُ مِيدَانًا لِلدَّرَاسَةِ، مِمَّا يُحْسِنُ بِهِ الدَّوْقِ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الآلَةُ وَالْأَدَاةُ.

وأول ما قد يتبادر إلى الذهن عند الإقبال على دراسة التحليل البلاغي للصوت في القرآن الكريم هو السؤال عن السبب الذي من أجله صُعبُ الطريق الصوتي على السالكين، وعن الكيفية التي يحسن بها معالجة مثل هذا الموضوع؟

لعل الذي أسس لتلك الصعوبة هو نقص المرجعية الدلالية للأصوات؛ من جهة المعجم اللغوي الصوتي، أو من جهة العرف بين المتكلمين - وكلاهما مرتبط بالآخر؛ فليس لدارس الصوت معجمٌ لغوي لمعاني الأصوات يبني عليه أحكامه، كما هو الحال في معاجم المفردات (الكلمات)، كما أنه ليس للصوت في نطاق التداول معنىً في ذاته يمثل عرفاً عاماً، إذ الغالب عليه أن يأتي مصحوباً بالتحيزات النفسية والذهنية لمستعمله¹، وهذا ما يجعل الخوض في الحقل الصوتي ضرباً من المغامرة الخطرة، لا هادي فيها ولا دليل غير الرأي الذاتي، مما يجعلها عرضةً للاتهام بالخروج عن المنهج العلمي القائم على التعليل والتجريب، والذي تتصف نتائجه عادةً بقدر كبير من الثبات. ولعل هذه الأسباب هي التي جعلت جهود كثير من الدارسين في الحقل الصوتي تتصف بالتجاور لا بالتراصف والتركيب (إن صح التعبير)، يكاد لا يبني فيها رأي على آخر، تبدأ في معظمها من الصفر، من غير التفات - ذي معنى وتأثير فاعل - للجهد سابق. والسبب الرئيس في ذلك هو البعد الشخصي الذاتي للنتائج التي يخرج بها عادة دارسو هذا الحقل.

وهذا لا يعني أننا نشق طريقاً لم يُشَقَّ، أو نرود مساحات لم تطأها قدم، وإنما نسير حيث سار الآخرون. والأمر برؤيته ضربٌ من التوصيف بعيد عن أحكام القيمة، قد يصدق على دراستنا قبل أن يصدق على غيرها، وإنما نحاول وضع معالم للطريق، علماً توصل إلى خارطة واضحة له.

1 أشار إلى شيء من ذلك كل من (بودوان دي كورتيني) و(إدوارد سابير)، ينظر: العزاوي، سمير، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، دار الضياء، عمّان، 2000م، ص 23.

خصوصية النص القرآني

القرآن الكريم كلام الله عز وجل، ومادام كذلك فلا شيء فيه جاء على غير قصد أو لغير علة، علّمها من علمها وجَهَلها من جهلها. وعلى هذا المعنى ليس كل ما يصح فيه يصح في غيره من النصوص، وكذلك ليس كل ما يصح في غيره يصح فيه؛ فليس من الخطأ أن أبحث عن علة ابتداء جملة من جمل القرآن الكريم بصوت دون آخر؛ لعلمي أن لا شيء فيه جاء على غير قصد، ولكن الأمر نفسه قد لا يستقيم مع أي نص آخر، شعري أو نثري؛ فيقيني بوجود العلة مع القرآن الكريم ليس كيقيني بوجودها مع غيره. ومن هذا المنطلق فإن القرآن الكريم يمثل نصاً مطلق الكمال، نصاً مفارقاً، فيه من الإمكانيات الدراسية المتاحة ما لا، ولن، تجده في غيره².

ويفضي بنا هذا الكلام إلى ضرورة تعميم خاصية (التمكين) - التي درسها البلاغيون والمفسرون في الفاصلة القرآنية³ - على القرآن الكريم كله، وليس على الفاصلة فحسب؛ لتعلقها بتلك الخاصية التي أشرنا إليها. والتمكين هو «أن يمهّد الناثر للقرينة، أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القافية، أو القرينة، متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم»⁴. وهذا هو عينه ما تدرسه المدارس النقدية اللسانية، ولاسيما مبحث الانزياح في الأسلوبية، تحت مسمى محور الاختيار (وقد يسمى الانزياح الاستبدالي)، ومحور التوزيع (وقد يسمى الانزياح التركيبي)، فاختيار النص لصوت بعينه، أو لمفردة بعينها، أو لتركيب أسلوبية بعينه، مع وجود خيارات أخرى بديلة أهملها النص، يدل على تحييزه لمعنى بذاته تؤديه اختياراته التي اختارها، ولا تؤديه البدائل التي ضرب عنها صفحاً، وهذا ما يُدرس ضمن محور الاختيار. أما على صعيد محور التوزيع، فلا يتعلق الاهتمام بدراسة ما حضر من اختيارات النص (على صعيد الصوت، أو الكلمة، أو التركيب) مع ما

2 من الإشارات الدالة في هذا المجال قول الناقد شكري عياد في معرض حديثه عن القرآن الكريم: «هو أجدد بأن يكون النص الجامع لأكثر السمات الأسلوبية في العربية وأقواها تأثيراً». اللغة والإبداع، انترناشيونال برس، القاهرة، 1988، ص 102.

3 ينظر على سبيل المثال: السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، 3/302. والحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، 2000م، 289-285.

4 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3/302. وانظر: مطلوب، أحمد - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان_ناشرون، بيروت، 1996م: (التمكين، ص 417) و (اتلاف القافية، ص 13-12).

غاب عنها، بل يتعلق بالمواقع التي اختارها النص لتلك الاختيارات⁵.
 فاعتراض الأعرابي الذي لم يكن يقرأ القرآن - في الحادثة المشهورة - على القارئ الذي قرأ آيةً من سورة البقرة بفاصلةٍ تنتهي بقوله (فاعلموا أن الله غفور رحيم) كان اعتراضاً يتعلق باختيار القارئ لكلمتي (غفور رحيم) في الفاصلة، وهما في رأيه لا يصح أن يكونا من كلام الله في هذا الموضع؛ إذ غيرهما أولى أن يكون في فاصلة الآية، وعندما احتكم الرجلان إلى حافظ للقرآن الكريم مرّ بهما تبين أن الأعرابي محق، وأن الآية لا تنتهي كما قرأ القارئ، بل تنتهي بقوله تعالى (فاعلموا أن الله عزيز حكيم)، فظهر أن الأعرابي قد أدرك بفطرته عدم انسجام القراءة الأولى مع دلالة الآية، فالآية تقول: (فإن زلتم من بعد ما جاء تكم البيئات فاعلموا أن الله عزيز حكيم) [البقرة، 2/ 209]، وقول القارئ: (فاعلموا أن الله غفور رحيم) يشوش على الدلالة المرادة من الآية؛ ذلك أن "الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل، لأنه إغراء عليه"⁶. فدراسة اختيار النص (العزيم الحكيم) دون (الغفور الرحيم) هي دراسة تتعلق بمحور الاختيار لا بمحور التوزيع.

أما محور التوزيع فمثاله البحث في تقديم (اللطيف) على (الخبير) في قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) [المؤمنون، 23/ 12]. وقد علل السيوطي ذلك بقوله: "إن اللطف يناسب ما لا يُدرك بالبصر، والخبير يناسب ما يدركه"⁷. ومثل ذلك البحث في علة تقديم (العليم) على (الحكيم) في قوله تعالى: (إنك أنت العليم الحكيم) [البقرة، 2/ 32]. أو علة تقديم (إياك نعبد) على (إياك نستعين) في سورة الفاتحة. والأمثلة كثيرة لا حصر لها، لتعلقها بالخيارات التركيبية للقرآن الكريم كله.

الخصوصية المنهجية

أول ما يحسن البدء به، وقد استقام لنا الكلام على خصوصية النص القرآني، مسألةً على قدر كبير من الأهمية، ولا مندوحة عنها لمن رام دراسة التحليل البلاغي للصوت في القرآن الكريم، ألا وهي الكيفية التي يمكن أن تُحلَّل بها الظاهرة البلاغية للصوت!

يتعلق التحليل البلاغي للصوت بالكشف عن مدى تحقُّق الوظائف المنوطة به ضمن النص، وقد تختلف هذه الوظائف من نص إلى آخر، تبعاً للنوع الذي ينتمي إليه؛ فوظيفة الصوت في النص النثري ليست مطابقة لوظيفته في النص الشعري، ووظيفته في كلا النصين ليست مطابقة

5 عن محوري الاختيار والتوزيع ينظر: ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص 128-111، وعباد، اللغة والإبداع، ص 78-68.

6 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3/303.

7 الإتقان في علوم القرآن، 302.

أيضاً لوظيفته في القرآن الكريم. ولذلك لا بد من تحديد هوية النص المقصود بالدراسة قبل البدء بإجراءات التحليل. وبسبب خصوصية النص القرآني فإننا نجد فيه من الوظائف الصوتية ما لا يمكن أن يوجد بمجملته وتفصيله فيما سواه، ولكننا سنكتفي في هذا المبحث بالكلام على الوظائف ذات الطابع اللغوي، والتي يُمكن أن تُدرس بأدوات ومناهج لغوية.

إن تحديد وظائف الصوت مرتبط ارتباطاً وثيقاً بفهمنا لتشكيل النسيج اللغوي للنص؛ فإذا كان النص اللغوي مجموعةً من الأصوات تتضامّ على نحو مخصوص وضمن علاقات محددة؛ لتؤدي معنىً مخصوصاً فإن هذا يمكن أن يشير إلى وظيفتين أساسيتين للصوت؛ الأولى تركيبية تتجه نحو طريقة تضام الأصوات مع بعضها لتؤدي المعنى المراد؛ أي أنها تهتم بمدى انسجام الصوت مع الأصوات الأخرى في البنية اللغوية، وهو ما يمكن أن يُدرس ضمن شبكة العلاقات (ضمن محوري الاختيار والتوزيع)، أو خاصية التمكين، كما قد أشرنا.

أما الوظيفة الأخرى فتتجه أيضاً نحو تأدية المعنى، ولكن من جهة أخرى، و المقصود بذلك خاصية دلالة الصوت، من حيث الإيحاء، على المعنى، وهو ما يسمى (الأونوماتوبيا - onomatopoeia)⁸. وترتبط هذه الوظيفة بسابقتها ارتباطاً وثيقاً، ويتوسّل العمل عليها بالنظر في خصائص الأصوات ومخارجها وصفاتها، وغالباً ما تدرس الوظيفة الأولى والثانية معاً. وبسبب الطبيعة الخاصة للنص القرآني فإننا نضيف وظيفة أخرى على قدر كبير من الأهمية وهي الوظيفة الإيقاعية، (وقد يسميها البعض: الموسيقى)⁹. وهي وظيفة صوتية بحتة؛ لارتباط مفهوم الإيقاع بالأصوات. وتعمل كل هذه الوظائف مجتمعةً لا منفصلة، وتشغل على خدمة المعنى في النص، فهو الميزان والمقياس الذي يحدد درجة الأداء الوظيفي لكل منها. وسنكتفي في هذا البحث بالحديث عن الوظيفتين الأولى والثالثة، على أن نفرد للوظيفة الثانية بحثاً مستقلاً يؤدي حقها ويبسط الكلام في تفاصيلها.

فعلى صعيد الوظيفتين الأولى والثانية (شبكة العلاقات التركيبية، أو خاصية التمكين، والأونوماتوبيا) تحسّن الاستفادة بدايةً من المقارنة بين دور الكلمة في النص ودور الصوت فيه؛ فكلاهما وحدة تساهم في بناء الكلام، غير أن الصوت هو أصغر هذه الوحدات، ثم تليه الكلمة

8 جاء في تعريف (الأونوماتوبيا): استعمال الكلمات بحيث توحى _أو تحاكي_ أصواتها بمعانيها. يُنظر: Chris baldick: concise dictionary of literary terms, oxford university press, New York, 1996, p: 156.

9 يُنظر في ذلك: الياني، نعيم: قواعد تشكّل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، العدد 15-16، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1984، ص153-132، وثلاث قضايا حول الموسيقى في القرآن، مجلة التراث العربي، العدد 17، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1984، ص 105-89. والحسنائي، الفاصلة في القرآن، 191.

ثم العبارة أو الجملة ثم النص. فهل يعني ذلك أن الموقف من الصوت هو ذاته الموقف من الكلمة؟ وأن ما يصح مع الكلمة يصح أيضاً مع الصوت؟

ذهب عبد القاهر الجرجاني - وتابعه في ذلك كثير ممن خلفه من النقاد القدامى والمحدثين - إلى أن الكلمة لا قيمة بلاغية لها في ذاتها، وإنما تكتسب القيمة حين ترتبط مع غيرها بعلاقة ضمن تركيب لغوي، بحيث تصبح عنصراً فاعلاً في نظام محدد، قيمة هذا العنصر تكمن في أدائه وظيفته ضمن النظام، وفي مدى ملاءمته للعناصر الأخرى داخل النظام، لتؤدي هي الأخرى الوظائف المنوطة بها، فيكتمل بذلك النص، ويؤدي مبتغاه¹⁰. وقريب من هذا الذي ذهب إليه الجرجاني ما ادعته بعض المدارس النقدية الحديثة ذات الطابع اللساني اللغوي، كالبنوية، وما تفرع عنها.

وتبدو نظرة الجرجاني تلك من أكثر النظرات وجاهة في حق الصوت أيضاً؛ ذلك أنها إن صَحَّت في الكلمة، وهي وحدة أعلى، أو أكبر، من الصوت - على اعتبار أنها الوحدة الثانية في سلم وحدات الكلام - فمن الأولى أن تصح مع الصوت، وهو وحدة الكلام الصغرى.

ومن جهة أخرى فإن الكلمة يمكن أن تكون ذات معنى، وإن كانت مفردة خارج إطار أي نص، ومع ذلك فإننا لا ننظر إلى قيمتها إلا من خلال الدور الذي تؤديه في النص؛ فهي إذ تنتمي إلى نص ما تتحوّل كيفياً، ولا تعود نفسها، لأن النص - بالمعنى الذي أشرنا إليه - يصبح (كُلاً) يتصف بأنه ليس مجرد جمع لصفات (الأجزاء-الوحدات) التي ساهمت في بنائه؛ فهذه (الأجزاء-الوحدات) نفسها قد أصبحت، من حيث الكيف، شيئاً جديداً، غير ما كانت عليه خارج النص؛ بسبب خضوعها لعلاقات تتسق مع خصائص (الكل). وعلى هذا الأساس قد يختلف معنى الكلمة، مفردةً عن معناها داخل نص. فكيف سيكون الحال إذن مع الصوت، والقول بدلالته على معنى مستقل - قبل أن يدخل في تركيب ما - مقروناً بكثير من التعسّف!

والفرق بين الكلمة والصوت يمكن إن يرتد، في جوهره، إلى انتماء كل منهما إلى بنية نسقية مختلفة؛ فالكلمة وحدة صغرى في بنية المدلول (نسق المعنى)، وهو نسق يتألف من وحدة كبرى هي النص، ثم الجملة، ثم الكلمة. أما الصوت فينتهي إلى بنية الدال (نسق التركيب)، وفيه وحدات: الحركة والصوت والمقطع والوزن. وهي وحدات ليست دالة بذاتها، وإنما تكتسب معناها من تراصفها أو تركيبها على نحو مخصوص.

ولعل صعوبة القول بدلالة الصوت، في ذاته، مفرداً على معنى مقبول في تواضع أي جماعة لغوية تبدو واضحة في اختلاف دلالاته تبعاً للتركيب (السياق اللغوي) الذي ينتمي إليه؛ فدلالة

10 ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني - دار المدني،

الاستعلاء مع الرُّفْعَة، الظاهرة في صوت العين المفتوحة الموجودة في أول حرف الجر (عَلَى)، مختلفة عن دلالتها في صوت العين المضمومة في عينية أبي ذؤيب الهذلي، في رثائه أبناءه الخمسة: ¹¹

والدهر ليس بِمُعْتَبٍ من يَجْزَعُ	أَمِنَ المَنونِ و رِيهِنَا تتوجع
منذ ابْتَدَلتْ ومثل مالك يَنْفَعُ	قالت أَمِيمَة ما لجسْمك شاحبا
إلا أَقْضَ عَلَيْك ذاك المَضْجَعُ	أَمْ ما لجنْبك لا يلائم مضجعا
أودى بَنِي من البلاد فودَّعوا	فأجبتْها أن ما لِحسْمِي أنه
بعد الرُّقَادِ وعبرَةً لا تُقْلَعُ	أودى بَنِي و أعقبوني غُصَّةً
فُتْخِرْمُوا و لكل جَنْبٍ مَصْرَعُ	سبِقوا هَوِيَّ و أعنقوا لهواهُمُ
فإذا المنيّة أقبَلتْ لا تُدْفَعُ	ولقد حرصت بأن أَدافع عنهمُ
أَلْفَيْتْ كُلَّ تَمِيمَة لا تَنْفَعُ	وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارها
سُملَّتْ بِشَوْكٍ فِهي عُوْرٌ تَدْمَعُ	فالعين بعدهم كأن حداقها

فصوت العين المضمومة يأتي في أواخر الأبيات كرجع الصدى، فيوحي بالبكاء وقد أصبح عويلاً (بمدّ الضمة لتصبح حركةً طويلةً عوووو)، وكأننا بصوت أبي ذؤيب، وقد نُكِل بأبنائه، كصوت الذئب الجريح الذي يملأ فراغ الليل بنحيبه العميق الموجه الذي تحولت فيه الهاء الخفيفة، في الآهة، إلى عين ثقيلة ثقل المصاب الفادح.

ولا يكاد الأمر يختلف في القرآن الكريم؛ فالمد بالألف في كلمة (الرحمن)، الواقعة في بداية سورة (الرحمن)، فيه إعلان وإظهار وانتشار، يتناسب مع إطلاق الألف ممدوداً نحو السماء، وفيه من جهة الأداء انفتاح لفم المتكلم (القارئ)، مع تصاعد صوتي، يبدأ مع الميم، يشبه انطلاقاً متسلسلاً نحو الفضاء. والذي أكد هذه الدلالة وأثارها موقع الكلمة من السورة، إذ جاءت في مبتدأها، فبدت كأنها بيان أو إعلان كوني ¹²، ثم تأكد هذا الإعلان من جديد بترداد المد بالألف

11 الهذليين، ديوان الهذليين، سلسلة المكتبة العربية، تصدرها: الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، 1965م، القسم الأول، ص 3-1.

12 سبق أن أشار سيد قطب إلى أن «رنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله، وفي إيقاع فواصلها، تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت إلى بعيد، كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما سيأتي بعد المطلع من أخبار... [ف] السورة كلها إعلان عام في ساحة الوجود الكبير، إعلان ينطلق من الملأ الأعلى، فتتجاوب به أرجاء الوجود، ويشهده كل من في الوجود، وكل ما في الوجود... (الرحمن.....): بهذا الرنين الذي تتجاوب أصدائه اللطيفة المديدة المدوية في أرجاء هذا الكون، وفي جنبات هذا الوجود. (الرحمن.....): بهذا الإيقاع الصاعد الذاهب إلى بعيد، يجلجل في طباق الوجود،

مع الفواصل التي أعقبت الآية (الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان) [سورة الرحمن، 55/4-1] إلى آخر السورة، من غير أن يظهر أيُّ مدٍّ هابط بالياء. وحتى عندما حضرت الياء، فسبقت النون في إحدى فواصل السورة، وبدا من الطبيعي أن يكون هنا مد هابط - جريباً على عادة الفواصل القرآنية التي يسبق فيها حرف العلة حرف النون، فيكون المد صاعداً أو هابطاً أو مدوراً - تجنبت الفاصلة هذا المد بسكون وقع على حرف الياء، منعه من التحوّل إلى المد؛ قال تعالى: (فبأي آلاء ربكم تكذّبان * رب المشرقين ورب المغربين * فبأي آلاء ربكم تكذّبان) [سورة الرحمن، 55/16-18].

فلو قارنا دلالة المد في كلمة (الرحمن) من سورة (الرحمن) مع دلالته في الكلمة نفسها، ولكن في سياق آخر لسورة أخرى، لوجدنا اختلافاً بيننا؛ فالمد بالألف في (الرحمن) من سورة (الفاحة) لا تستبين دلالته من غير النظر في السورة كلها؛ فالسورة دعاء مُهدّد له بالحمد والثناء، فهي صلة، إذن، وعلاقة بين العبد وربّه، بين السماء والأرض، دعاءً صاعداً تليه استجابة نازلة. فإذا استقر لك ذلك، فانظر الآن إلى السورة نظرةً كليةً تجد أن المد هو الذي يصبّر لك هذه الحال ويسطها؛ فلا تكاد تخلو آية من مدّين؛ صاعد بالألف، يأتي أولاً (دلالة على تعلق الرجاء والدعاء بالله ابتداءً)، ومنه قوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر، 10/35]، و هابط بالياء، يتلوه آخرًا (دلالة على الاستجابة التي تعقب الدعاء بإذن الله)، ومنه قوله تعالى: (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينتزّل الأمر بينهن...) [الطلاق، 65/12]، يقول عز وجل: (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * ملك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) [الفاحة، 1/1-6]. ومن اللافت أن المدّين يفتتحان معا فواصل السورة في كلمة واحدة: (العالمين)¹³، فتجد فيها مدّاً صاعداً بالألف، بعد العين، ومدّاً هابطاً بالياء، بعد الميم، ويختتماها أيضاً في كلمة واحدة (الضالين)، حيث المد الصاعد بعد الضاد، والمد الهابط بعد اللام، ومثلها تأمين المصلين بكلمة: (آمين). فيكونان على ذلك مفتاح السورة ومنتهاهما. ولعل في هذا الكلام بيان إشارته صلى الله عليه وسلم إلى اقتسام الفاتحة بين الله عز وجل وبين عباده، في قوله «ما أنزل الله في التوراة والإنجيل مثل أمّ القرآن، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدني ما سألت»¹⁴. وتسمية الحديث سورة الفاتحة بالسبع المثاني أمرٌ قد يتعلّق بهذا

ويخاطب كل موجود، ويتلف على رنته كل كائن، وهو بماأ فضاء السماوات والأرض، ويبلغ إلى كل سمع وكل قلب“ في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 6/3445 _ 3446.

13 وذلك بعدّ البسملة غير واقعة في ابتداء السورة. ولن يغيّر شيئاً القول بعدّها آية منها؛ ذلك أنّها تنتهي بالمدّين نفسيهما؛ صاعد في (الرحمن) وهابط في (الرحيم).

14 ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، مكتبة الحلواني ودار

الذي ذكرناه، فعدد المدود المثناة في السورة بين صاعد وهابط سبعة أزواج - على اعتبار البسملة جزءاً من السورة - مما يسمح بالقول إنها معتبرة في قوله صلى الله عليه وسلم (السبع المثاني)¹⁵.

وليس مُجدد لمن يروم النظر في تحليل بلاغة الصوت في القرآن الكريم، أو فيما سواه من نصوص، أن يلتفت إلى أصوات الكلمة مفردة، مجردة من سياقها التركيبي، فهذا أمر لا معول من ورائه، ولا يعتمد على اختيار مؤلف النص؛ فتجاور الأصوات في الفعل (كتب) حاصل بمقتضى التواضع والاصطلاح، وليس لمنشئ النص فضلاً في تجاور أصواته؛ فذاك مما لا يقع عليه اختياره، ولا تنصرف إليه قدرته. وإنما تقع البلاغة على الاختيار والقصد. وهذا بعينه ما أشار إليه الجرجاني حين رأى أن نظم الحروف في الكلمات ليس «بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ريض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»¹⁶.

فإن قال قائل: إن منشئ النص قد يختار لفظاً دون آخر لمناسبة جرس أصواته للمعنى الذي يطلبه، مما لا يجده فيما سواه، أفلا يكون له إذن فضل الاختيار الصوتي؟

هذا كلام فيه نظر أيضاً؛ ذلك أن اللفظ الجديد الذي استغنى به (المنشئ) عن سواه؛ لِمَزِيَّة صوتية فيه إنما يحمل مزيته معه قبل أن يقع عليه الاختيار؛ (فالنضخ) أقوى دلالة على تدفق الماء من (النضج)، ولا يماري أحد في أن اختلاف الدلالة بينهما جاء من اختلاف صوتي الحاء والخاء، بسبب تماثل باقي الحروف. فلو أن (المنشئ) استعمل الأول دون الآخر للدلالة على قوة جريان الماء فذاك لمعرفته بدلالاته الكامنة على قوة التدفق، قبل أن يقع عليه اختياره، فليس له إذن فضل نظم أصواته، بل فضل اختيار اللفظ المناسب، في معناه ومبناه، للمقام الذي أراده منه.

وهناك وجه آخر لهذه المسألة، يحسن على سبيل الاستئناس، وهو مناسبة اللفظ للمعنى؛ فمنشئ النص لا يصرف همه لاختيار الألفاظ ابتداءً، بل يجعل وكده تبيين المعنى وجلائه، على النحو الذي يناسب سريره ومبتغاه، ثم تنقاد إليه الألفاظ تبعاً للمعنى الذي يطلبه؛ ذلك

البيان ومطبعة الملاح، د.م، ج 8/1972م، الحديث: 6237. وانظر تحريجه والحكم عليه في الحاشية .

15 للعلماء في تفسير (السبع المثاني) كلام كثير، لا يتعلق أي منه بهذا الذي ذكرناه. وللاطلاع على أغلب الآراء التي قيلت في معنى (السبع المثاني) يمكن مراجعة تفسير اللباب لابن عادل؛ فقد فصل فيه الكلام في معرض تفسيره للآية (87) من سورة الحجر. ينظر: ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م. الجزء 11.

16 الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49.

أن «العلم بمواقع المعاني في النفس علمٌ بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق»¹⁷. فأبي فضل إذن بقي للمنشئ يتعلق بترتيب الأصوات في اللفظة دون التركيب!؟

بقي للمنشئ من فضل نظم الأصوات في الكلمة -دون التركيب- ما يجريه عليها من تعديلات يقع عليها الاختيار وتفاضل بها الأساليب، مما تسمح به قواعد اللغة وأعرافها، كزيادة في المبنى أو حذف، أو تغيير في البنية الصرفية؛ فانظر إلى كلمة (تأقلمتم) كيف اكتسبت معاني لم تكن لها حين تحوّلت في النص القرآني إلى (إتأقلمتم) في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أتأقلمتم إلى الأرض) [التوبة، 9/38]. فالوزن الصرفي للكلمة في السياق القرآني، والتشديد الواقع على حرف الثاء، والانتقال من صوت الهاء في لفظ الجلالة إلى الثاء المشددة التي يعقبها مد، كل ذلك كان من شأنه أن يعطي الكلمة أبعاداً دلالية - في قوة الثقل والركون إلى الأرض - لم تكن لها قبل أن يُجري عليها النص القرآني هذا التغيير. ولو أنك تأملت هذه الزيادة في المعنى من أين جاءت لرأيت أنها إنما حصلت من نظم الأصوات على هذا النحو المخصوص الذي أشرنا إليه. ففي مثل هذا المقام يكون الكلام على فضل المنشئ في نظم أصوات اللفظ واجباً. ومثل ذلك كل تعديل يقع على اللفظ ولا يكون من أصله.

والأصل في التفاضل في نظم الأصوات إنما يكون بالنظر إلى التركيب في العبارة والجملة والسياق؛ لأن التركيب هو مما يقع عليه الاختيار، فالمنشئ قد يجعل كلمةً بعد أخرى لمناسبة قد تقع بين الحرفين المتجاورين منهما، وقد يبدأ جملةً بلفظ دون لفظٍ لمناسبة يراها في ضرورة ابتدائها بصوت دون آخر، ومثل ذلك يقع على خواتيم الجمل والعبارات. وهذا كله مُراعى في النص القرآني. وفي مثل هذه الحال يحسن السؤال عن علة ابتداء الآيات وانتهائها بصوت دون صوت، أو عن علة تراصف الأصوات في الآيات على هذا النحو. وهذه مسألة يحتاج الجواب عنها إلى النظر في مخارج الحروف وصفاتها وأحوالها ومدودها وحركاتها ومقاطعها وأوزانها... إلخ.

فلو أنك تأملت في ابتداء سورة (الضحى) وانتهائها، وكذلك في فواصل آياتها، لأدركت من ذلك شيئاً كثيراً، فأول السورة حرف صائت هو (الواو)، وآخرها حرف ذو مخرج لثوي يشترك فيه طرف اللسان مع أطراف الثنايا، وهو حرف (الثاء). ولتعليل ذلك لا مناص من النظر في معاني الآيات وغاية السورة.

جاء في سبب نزول الآيات الأولى من سورة الضحى أن جبريل عليه السلام أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفق أهل مكة يتندرون بانقطاع الوحي عنه، حتى كاد يجزع عليه

الصلاة والسلام، فنزلت الآيات¹⁸: (والضحى * والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى) [الضحى، 3/93-1]، فالغاية المباشرة من الآيات - بالنظر إلى سبب نزولها - إدخال الطمأنينة على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما لقي من كلام قريش، وتبكيته إياه. ولذلك بدا من المناسب في هذا المقام أن تبدأ السورة بصوت لين حنون لطيف، هو (الواو)، مخرجه من الجوف، من أقرب الأماكن إلى النفس وألصقها بالقلب¹⁹، رخو لين، من حيث طبيعته الصوتية؛ وذلك تأنيساً له صلى الله عليه وسلم وتلطفاً معه. وانظر تأكيد ذلك في معاملات الناس فإنك ترى الذي يحاول أن يطيب خاطر الخائف أو اليائس أو المهموم يُرَقِّق من صوته، ويخفِّض من تنغيمه ونبره؛ ليذهب التوتر والبأس عن سامعه، ويدخل الطمأنينة والهدوء إلى نفسه. وهذا شائع مشهور بين الناس، ولذلك حُسِّن في هذا الموضع - بل لم يحسن سواه - البدء بصوت فيه رحمة ورقة ولين. ولو أنك تأملت بدايات الآيات في السورة كلها، وهي إحدى عشرة آية، لوجدت حرف الواو يتكرر في بداية ثمانية منها، فكأنه يد حانية تمتد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسح على رأسه وصدرة مرة تلو مرة حتى يغمره الأمان، وتتعرَّز في نفسه الراحة والطمأنينة. ولعل هذا هو نفسه ما يعلل السكينة والطمأنينة التي تعتري كل قارئٍ متدبرٍ لهذه السورة، لأنه يشعُر من ضمير المخاطب فيها أنه هو المعني بالخِطاب.

ثم انظر بعد ذلك إلى خاتمة السورة ستجدها قد انتهت بصوت (الثاء) ذي المخرج اللثوي الذي يشترك فيه طرف اللسان مع أطراف الشنايا. وهو مخرج بعيد عن باطن النفس قريب من الشفتين، منفتح عند النطق به على ما هو خارج المتكلم. فلو أنك نطقت به ساكناً لأدركت كيف تبقى شفتاك منفرجتين، وبمر الهواء من بين لسانك وشنايك، ليُقذف إلى الخارج، خارج النفس. وكأنه يدل على شيء يخرج من النفس إلى ما سواها؛ فبعد أن غلبت السكينة على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم صار مستعداً لِبَثِّ ما في قلبه من طمأنينة خارج النفس، لتعم المستمعين الذي يعون. وبيان ذلك قوله عز وجل (وأما بنعمة ربك فحدث). وما كان لصوت الثاء أن يسبق الواو في هذه السورة، وإلا نكون كمن يطلب من الخائف أن ييث الأمان في من حوله، وفارق الشيء لا يعطيه!! فكان لا بد أولاً من تمكين الطمأنينة من قلبه صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك يأتي الطلب ببثها لمن حوله.

18 ينظر: الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، د.ت: ص 338-339.

19 لابن قيم الجوزية كلام حسن في العلاقة بين موضع مخرج الصوت من جهاز النطق وبين دلالاته؛ فكلمة اقترت المخرج من الجوف كان أدل على معاني تتعلق بالذات، وكلما ابتعد عنه كان أدل على معاني خارجها. فالقرب والبعد المكاني يؤدي إلى ما يوازيه في المعاني. يُنظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وأخران، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، 1996م، 1/176، 180.

ولا يكاد يختلف الحال مع الأصوات التي تنتهي بها فواصل السورة، فالآيات الثمانية الأولى انتهت بألف مد مفتوحة، وتسمى في باب الأصوات (حركة طويلة = فتحة طويلة): (ضحى، سجي، قلى، أولى، ترضى، آوى، هدى، أغنى)، تنتهي كلها بصوت الألف مشرعة نحو المطلق من غير نهاية أو حاجز. وألف المد مثل الواو، كلاهما من مخرج جوي واحد، قريب من القلب، قريب من العاطفة. ولا يكاد يختلف تعليل صوت الألف في هذا السياق عن سابقه الواو، فكلاهما يبيث السكينة في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي صوت الألف زيادة ليست في الواو، ذلك أن انتهاء الكلمة بالألف مفتوحة من غير سكون لاحق يجعل مرادها مستمراً من غير نهاية، فانظر إلى الفرق بين قوله تعالى: (ألم يجداك يتيماً فأوى) وبين قوله - افتراضاً - (ألم يجداك يتيماً فأواك)، فصوت الكاف الساكنة يبدو ثقيلًا في هذا التركيب الأسلوبى الذي بُني أساساً ليراعي مقام اللين والتلطف، كما أن إفعال الآية بالسكون كأنما دلّ على أن النعمة المقصودة مرتبطة بزمن محدد انتهى أوانه. هذا ناهيك عما يعترى المعنى من ظلال المنة بالنعمة بدلالتها السلبية، وهذا يتعارض مع مراد الآيات في هذا السياق اللطيف الحاني²⁰.

فإن قال قائل: إن القرآن الكريم قد جاء بالكاف الساكنة في فواصل آيات شبيهة في مرادها بآيات (الضحى)، وهي الآيات الأربع الأولى من سورة (الشرح): (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك* الذي أنقض ظهرك* ورفعنا لك ذكرك) [الانشرح، 94/ 1-4]. فهل نقول إن مراد الآيات هنا المنع على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنعمة، على الجهة السلبية؟!

إن مثل هذا الاعتراض يزول عند ملاحظة الفرق بين نسبة الكاف الساكنة (الواقعة ضميراً مضافاً إليه) إلى اسم في فواصل آيات (الشرح)، وبين نسبة الكاف الساكنة (الواقعة ضميراً في محل نصب مفعول به) إلى الفعل في فواصل المثال المُفترض على آيات (الضحى)، فالنسبة إلى الفعل - في دلالتها - غير النسبة إلى الاسم. والكاف الساكنة في آيات (الشرح) تقوم بدلالات ما كانت لتقوم بها لو كانت في فواصل (الضحى)؛ فارتباط الكاف بالاسم في سورة (الشرح) زاد من قوة النعمة المهداة إلى رسول الله، وزاد من انشراح صدره؛ وذلك حين أضاف معنى التخصيص: (صدرك أنت، ووزرك أنت، وظهرك أنت، وذكرك أنت)، أنت يا محمد وحدك، لا غيرك. فبدت كأنها نعمٌ مخصوصةٌ به وحده دون العالمين، خصّه الله بها، وخاطبه بضمير

20 ولسنا نرى رأي الفراء الذي ذهب إلى أن حذف الكاف من فواصل الآيات جاء "لمشكلة رؤوس الآيات". فهذا كلام لا نرى أنه يليق في حق القرآن الكريم؛ ذلك أنه ما من حذف أو ذكر يأتي في القرآن الكريم إلا لقصد وغاية يقتضيهما المعنى. ومراعاة الفاصلة ليس معيّنًا بذاته في القرآن الكريم على حساب المعنى. وإن طلبته الآيات فلعلّته تتعلق بالمعنى وبالفاصلة معاً. يُنظر: الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار السور، بيروت، د.ت: 3/274.

المخاطب القريب، الذي تكرر مرتين تقريباً في كل آية - مرةً في الضمير المنسوب إلى الاسم الواقع في الفاصلة، ومرةً في الجار والمجرور اللذين يسبقانه (لك، عنك، لك)؛ زيادةً في تأكيد القرب والخصوصية. فهل مثل هذا الفضل فضل!!

وتأمل كيف سيكون المعنى مغسولاً لو كانت الفواصل بغير الكاف: (ألم نشرح لك الصدر ووضعنا عنك الوزر - الذي أنقض الظهر - ورفعنا لك الذكر). إنه كلام لا عاطفة فيه، وترشح منه حيادية سلبية أقرب ما تكون إلى معنى المنّة. وفوق ذلك فإن المُخاطب لا يبدو معنياً بالمُخاطب، ولا تربطه به أيّ علاقة ذات قيمة. ومثل ذلك سيكون الحال لو افترضنا الكلام بغير (ال) التعريف الداخلة على الأسماء في الفواصل: (ألم نشرح لك صدرًا - ووضعنا عنك وزرًا - الذي أنقض ظهرًا - ورفعنا لك ذكرًا)، بل إن هذا الاحتمال أبعد في دلالاته السلبية؛ بسبب المعاني المنوطة بالتنكير، ناهيك عن ارتباط المنّة بالمرّة الواحدة التي يوحي الكلام بأنها لا تتكرر. وليس شيء من هذه المعاني السلبية تجده في النص القرآني، ولو بحثت عن الذي جعل هذه المعاني بحكم المعدوم لوجدته يأتيك من ارتباط الكاف بالأسماء في فواصل الآيات.

ولو عدنا إلى سورة (الضحى)، وتدبرنا باقي الأصوات التي انتهت بها فواصل الآيات فإننا سنقع على معاني أخرى مختلفة؛ ففي قوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر* وأما السائل فلا تنهر) [الضحى، 93/10-9] نلاحظ أن صوت الألف - المشرعة إلى الفضاء - الذي بقي ملازماً لفواصل الآيات منذ بداية السورة قد توقف، وجاء بدلاً عنه صوت الراء الذي يتكرر في آيتين متلازمتين. والعلة من ذلك أن صوت الراء يقوم هنا بما لا تقوم به الألف؛ لأن مراد النص من الآيتين اختلف عن مراده من سابقاتها؛ فما سبق كان في مجمله تَطْيِيبٌ لخاطر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَطْمِينٌ لقلبه؛ مما اقتضى الصوت اللين للألف المشرعة، كما قد أشرنا، أما هاتان الآيتان، ففيهما ينتقل مُتَعَلِّقُ الاطمئنان من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قلب اليتيم والسائل، ويتحول الرسول صلى الله عليه وسلم من محتاج إلى الطمأنينة إلى باث لها، فكأن النص يقول لرسول الله: كما أدخلنا الطمأنينة إلى قلبك يا محمد، وخصصناك بها، جاء دورك لتبث الطمأنينة في قلوب محتاجيها؛ كالسائل واليتيم.

وقد بُني تركيب الآيتين على أسلوب النهي الدال في السياق العام للآيات على ما يشبه الأمر، مع تقديم المفعول على فاعله، وهو أسلوب قويّ في دلالاته²¹. فمن أجل القوة في الطلب جاء السكون على الراء في آخر الفعل المضارع المجزوم؛ لتأكيد التشديد والحرص، مشاكلةً لمعظم أفعال الأمر التي تُبنى على السكون من أجل الحزم الكائن في أسلوب الأمر. والراء صوت ذلعي

21 مما يدل على قوة تركيب الجملة البدء بالفاء التي غيّرت مجرى الكلام، وتقديم المعمول على عامله خروجاً على مشهور القاعدة، ودخول (لا) الناهية على الفعل المضارع.

يخرج من طرف اللسان، أقرب ما يكون إلى ظهره، ما بين رأسه وما يحاذيه من اللثة²². ومن أهم صفاته الدالة أنه مجهور، وهي صفة يشترك فيها مع سواه، بيد أن له صفة لا يشاركه فيها أي من الأصوات، وهي (التكرار)، وقد يسمى (التكرير)، وهي صفة يُقصد بها أن الصوت يتكوّن من تكرار ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً²³. ولك أن تدرك ذلك إذا جرّبت أن تلفظ صوت الراء ساكناً فإنك تجد أن لسانك لا يكاد يقف، كأنك تلفظ الحرف مرات متتالية متكررة، فإذا تأملت بعد ذلك مراد الآيتين لوجدت أن الطلب وقع على عدم قهر اليتيم وعدم نهر السائل، وذلك ليس لمرة واحدة، بل على أن يكون ذلك سبباً ونهجاً دائماً متكرراً، فحيثما حضر اليتيم اقتضى الرأفة، وحيثما حضر السائل اقتضى التلطف، على نحو متكرر بتكرار حضورهما. فهل أدل على معنى التكرار في الطلب من صوت الراء التكراري الذي جعلته الآيتان ختاماً لها؛ زيادةً في القوة، بحيث يقف على دلالاته القارئ والسامع على نحو سواء؛ لأنه كالنقرة الأخيرة في إيقاع الآيتين؟!

والأمثلة على دلالات الأصوات في بدايات السور والآيات وفي منتهاها كثير لا يكاد ينحصر، لأنه يجري على آي القرآن الكريم كله²⁴.

ومع وجاهة القول بضرورة النظر إلى قيمة الصوت ضمن نظام تركيب، لا خارجه، أسوةً بالكلمة فإنه لا بد من احتراز مهم جداً، وهو التأكيد على اختصاص (الكلمة) بكييفيات ضمن هذا الإطار لا تصلح للصوت؛ لدلالاتها على معنى، وإن لم ترتبط بعلاقة ضمن تركيب محدد، بخلاف الصوت الذي ليس له ذلك. فهذا الاختصاص جعل من الممكن لدى بعض المناهج التحليلية اتباع ما يسمى بالآلية (الكلمات المفاتيح)²⁵؛ للوصول إلى روح النص، إن صح التعبير، فهي إذا عثرت - عن طريق الإحصاء - على كلمات تتردد في نص ما بكثرة لافتة فإن ذلك دال عندها على أن هذه الكلمات هي محور النص. مثال ذلك قوله تعالى: (وإذ قال ربك للملكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون - وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين - قالوا

22 ينظر: قدور، أحمد، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص 187.

23 يُنظر: الصيغ، عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر - دار الفكر، بيروت - دمشق، 2000م، ص 183.

24 لعل ما أشار إليه محمد الحسناوي في خصائص فواصل القرآن الكريم يصح أيضاً في حق نظم الأصوات في القرآن الكريم كله، ألا وهو "التعبير الموسيقي بحروف ذات إحاء لا بكلمات ذات دلالات محددة". الفاصلة في القرآن، ص 205.

25 تُستعمل هذه الآلية في المدرسة الأسلوبية وما تفرع عنها. يُنظر: عياد، اللغة والإبداع، ص 88-87.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم - قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون [البقرة 2 / 33-30]. ففي الآيات شيوع واضح للفظ (العلم) وتوابعها، مما يدل على أن العلم هو محور المقطع النصي كله. ولو أعدنا قراءة الآيات سنرى أن العلم هو، فعلاً، محور النص؛ فيسبب افتقار الملائكة للعلم الذي تعلمه آدم كان منها ما كان بحقه، حين ظننت به السفك والإفساد. وبما لديه من العلم فضل آدم على الملائكة في هذا الموقف. وبالعلم سجدت الملائكة لآدم سجود تقدير. وبالعلم اختص آدم بالخلافة على الأرض.

غير أن مثل هذه الآلية في التعامل مع الكلمة لا نستطيع أن نركز إلى استعمالها بحق الصوت - ولا سيما في القرآن الكريم - لذات الغرض الذي جعلت من أجله بحق الكلمة، إلا بكثيرٍ من التحفظ، وعلى سبيل الاستئناس فحسب؛ فالذي سوَّغ استعمالها للكلمة بتلك الدلالة في النص هو استئثار الكلمة بمعنى قبل دخولها إلى النص، مما يمكن معه القول ببقاء ظل من هذا المعنى داخل النص يمكن الاعتماد عليه، وهذا غير متحقق مع الصوت، الذي ليس له معنى بذاته خارج التركيب، إلا على سبيل الإيحاء.

ولو رمنا أن نفعل مثل ذلك مع الصوت فإننا واقعون، لا محالة، في لبس كبير؛ ففي سورة (القارعة)، مثلاً، يمكن أن نلاحظ تكرار أصوات ثلاثة حروف على نحو يفوق غيرها في السورة (مع احتساب الحرف المشدد صوتين لا صوتاً واحداً): الميم (تسع عشرة مرة)، والنون (إحدى عشرة مرة)، واللام (عشر مرات). وهذه الحروف الثلاثة تُعدّ من حروف الذلاقة اللينة الرخوة، أو متوسطة الرخاوة. فلو أردنا الآن أن نجعل منها دليلاً يقودنا إلى محور النص ومعناه الأساسي لوقعنا في حيص بيص! إذ الحروف تدل على اللين والرخاوة، على حين تبدو السورة مقوَّدة بصوت القرع منذ أول كلمة فيها (القارعة)، والمشهد كله شديد في صورته ومعانيه: (الجبال تتفتت كالقطن، والناس تتبعثر في الفضاء كالفراش)، وشديد في أصواته أيضاً: (قرع في أوله، وقرع آخر من ثقل كفة الذنوب في الميزان)، وقد أثرت القاف، وهي من حروف القلقلة، في نقل هذا الصوت وتصويره على نحو ملموس محسوس، ولا سيما حين تكررت في بداية السورة، يتلوها مد صاعد بالألف، يعقبه عين (القارعة)، وكذلك حين جاءت مضمومة في صيغة البناء للمجهول (تُقُلَّت موازينه). وأي محاولة لإعطاء تفسير من جهة المعنى لسيطرة الأصوات الثلاثة (الميم والنون واللام) سيكون مشوباً بقدر كبير من التكلف والتعسف.

على أن ذلك لا يعني انتفاء أية دلالة لسيطرة الأحرف الثلاثة في السورة، ولكنها دلالة لا تتعلق بالمعنى، بل تتعلق بوظيفة أخرى من وظائف الصوت، تعمّ القرآن الكريم كله؛ فلقد أشار عدد من الدارسين إلى أن أكثر الأصوات شيوعاً في القرآن الكريم هي (النون، الميم، واللام)،

وهي أصوات ذلقية، كما أن أكثر الأصوات شيوعاً في فواصل القرآن الكريم هي: (النون 3152 مرة، ثم تليها الميم 742 مرة، ثم الراء 710 مرة، وبعدها باقي الأصوات بفارق كبير يصل إلى 400 مرة؛ فأقرب صوت بعد الراء هو الدال 308 مرة)²⁶. والنون والميم والراء أصوات ذلقية أيضاً! فلو اختار باحث مقطعاً من القرآن الكريم وخرج - بنتيجة الإحصاء - إلى أن الصوت الذي يتردد بكثرة في النص هو الميم أو اللام أو النون، أو كلها مجتمعة، وراح يتكلف العليل والمسوغات عن علاقتها بموضوع المقطع، من غير أن يأخذ بعين التقدير العلة التي شاعت من أجلها هذه الأصوات في القرآن الكريم، وفي كلام العرب عامة، فإنه سيخرج عن الهدف ويجانب الصواب، ولنا في مثال سورة القارة السابق خير دليل على الذي نقول.

ولا يعني ذلك تعذر استعمال الإحصاء بحق الأصوات، فالإحصاء آلية مهمة لا يمكن الاستغناء عنها في هذا المجال، شريطة أن نتحرز في طبيعة الوظائف التي تؤديها الأصوات، في القرآن الكريم، قبل أن نبادر إلى تعليل دلالات الإحصاء ونتائجها. وأمر آخر يحسن الإيماء إليه هنا، وهو أن تلك الآلية المتبعة في الإحصاء ليست ذات جدوى في دلالتها على المعنى، وغيرها أحق منها لتلك الدلالة.

وليس يكتمل التحليل البلاغي للأصوات في القرآن الكريم من غير النظر في باب الإيقاع، وهو باب متسع كثير المزالق؛ لتشعب معنى الإيقاع²⁷، ومع ذلك فهو كبير الفائدة عظيم الإشارة على الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم؛ إذ يُنظر إلى أصوات الحروف على أنها نغمات موسيقية تتألف على نحو مخصوص في الصيغ والتراكيب والجمل، لتؤثر في المتلقي تأثيراً موسيقياً انفعالياً ممتعاً، من غير أن يكون هذا التأثير مستقلاً عن دلالتها المعنوية. وقد عمل على الإيقاع في القرآن الكريم كثير من الدارسين²⁸، ولاسيما في الفاصلة القرآنية²⁹.

26 ينظر: الحسنوي، الفاصلة في القرآن: 296.

27 لمراجعة تعاريف الإيقاع المختلفة ينظر: موافي، عبد العزيز، قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، 2006م، ص 359-322. ورتشاردز، أ.أ، مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005م، ص 196-185.

28 ينظر على سبيل التمثيل: المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م، 1/296 والإيقاع عنده صنو النغم. والعزاوي، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، ص 110-104.

29 ينظر على سبيل المثال: الحسنوي، الفاصلة في القرآن الكريم؛ فقد أفرد لإيقاع الفواصل فصلاً كاملاً مهماً، ص 284-175.

ولا تظنن أن القول بـ(متعة) الإيقاع في القرآن الكريم يتعارض مع دلالة بعض آياته على الخوف من القيامة، أو على أهوالها، فذاك شأن آخر؛ لأن جمال التعبير في القرآن الكريم ليس شيئاً تقتضيه مواقف الرحمة دون الغضب، أو مواقف الترغيب دون التهيب، كما أنه ليس يمنع الكاتب أن يُجَمِّل من أسلوبه مهما كان موضوع كتابته - ولله المثل الأعلى.

يقوم النظر في تحليل الإيقاع الصوتي على ملاحظة النظام المتكرر للبنى الصوتية³⁰، ثم النظر في وظيفة هذا النظام؛ إذ لا يخلو من أحد وظيفتين؛ وظيفة إيقاعية بحتة تخاطب الحس الإيقاعي والانفعالي للمتلقي، ووظيفة تتعلق بمعنى البنية والنص.

فانظر إلى الآيات الثلاث الأولى من سورة (القارعة): (القارعة) - ما القارعة - وما أدراك ما القارعة) [القارعة، 101 / 3-1] فإنك لا بد ستلاحظ تكراراً واضحاً لبنية صوتية واحدة، هي لفظ (القارعة)، وإذا دقت النظر أكثر فستجد أن هذا التكرار يتبع نظاماً محددًا تتكرر فيه كل آية بصفتها بنية صوتية متكاملة؛ فالآية الثانية استحضرت البنية الصوتية للآية الأولى كاملةً، وجعلتها في فاصلتها، والآية الثالثة استحضرت البنية الصوتية للآية الثانية كاملةً وجعلتها في فاصلتها، فبدا للمتلقي من الوهلة الأولى أن المتكرر هو لفظ (القارعة) فقط، على حين أن المتكرر هو البنية الصوتية الكاملة لكل آية. ويمكن تمثيل ذلك على النحو الآتي:

{ أ - ب [أ] - ج (ب [أ]) }

وهذا التكرار، كما هو واضح، تكرارٌ مُنظَّم محسوب، ويتبع قاعدةً محددة، ولذلك فإنه يترك في النفس أثراً إيقاعياً واضحاً، مردّه إلى لذة سماع الصوت أكثر من مرة على نحو مُنظَّم، وتبعاً لفواصل عددية محددة، تُشكِّل توافقاً على نحو ما³¹، بحيث يظهر أن هناك سلسلة من البنى الصوتية «تعود مرات متساوية، وفي أزمنة متساوية... فإذا سمعتها الأذن شعرت [باللذة]³²... فهي بعد كل انسجام تنتظر الانسجام الذي يليه... وهذا الترجيع لا يخلو في ذاته من فتنة»³³. ونظام الترجيع المنظَّم يتضح لك إذا نظرت في كيفية تكرار البنية الصوتية (القارعة) في الآيات؛ ففي الآية الأولى هناك بنية واحدة هي (القارعة)، وفي الآية الثانية هناك بنية، تأتي في أحدهما

30 على أساس أن أبسط تعريف للإيقاع هو أنه "تردد ظاهرة صوتية بانتظام، على مسافات متقاربة زمنياً." موائي، قصيدة النثر، ص 322.

31 ينظر: جويو، جان ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة: سامي الدروبي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1965م، ص 177.

32 وردت في النص الأصلي (الطرب) لأن الكاتب يتكلم على تلقي الشعر، وغيرناها بمناسبة القرآن الكريم.

33 جويو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ص 177 - 178.

(القارعة)، وفي الآية الثالثة ثلاث بُنى، تأتي في آخرها، أيضاً، (القارعة)، فكل آية تزيد على سابقتها ببنية، وتنتهي بـ(القارعة)؛ فالنص بدأ بوحدة، ثم جعلها اثنتين، ثم ثلاث؛ أي: إنه تدرّج رويداً رويداً، من الواحد حتى الثلاثة؛ أي: من الأقل صعوداً نحو الأكثر.

أما العلة التي من أجلها كرّر النص البنية الصوتية (القارعة) فتتعلق بمعنى (القارعة)، والمراد بها في هذا السياق القرآني يوم القيامة، وُسِّمَت قارعةً لأنها تفرع الآذان بصوتها القوي الذي يُذهل النفوس. ولا يكون الصوت قرعاً إلا إذا كان شديداً ومتكرراً. فلأجل الشدة والتهويل جاء تكرار اللفظ، فذاك قمين بالدلالة على (التفخيم والتعظيم والتهويل) - هذا ناهيك عن صوت القاف مع الراء والعين - ولأجل تكرار القرع جاء ترجيع صوت القارعة ثلاث مرات. فأكمل للنص مراده من هذا الوجه³⁴.

ثم عاد النص القرآني، في آخر آيتين من السورة، فذكرنا بالنظام الذي ورد في الآيات الثلاث الأولى؛ وذلك من خلال قرينة التماثل - شبه الكامل - بين الآية ما قبل الأخيرة«وما أدراك ما هي» والآية الثالثة«وما أدراك ما القارعة»، ولكنه استثمر النظام هاهنا على نحو معكوس؛ بحيث أصبح التدرّج من الأكثر نحو الأقل(وما أدراك ما هي * نار حامية) [القارعة، 11-10/101] ، فتوقّع المتلقي أن يستمر النظام المعكوس؛ بحيث تكون الكلمة الأخيرة المتوقعة هي (القارعة)، قياساً على الآيات الثلاث الأولى في مبتدأ السورة، ولكن النص لم يترك النظام يستمر، فبدأ كأنه يريد أن يشير دون أن يصرح، ويومئ دون أن يقول. ولذلك لا يبدو غريباً أن يستحضر المتلقي في نفسه - على نحو لا شعوري وانسجماً مع النظام - كلمة (القارعة)، لأنه افترض أن النص سيكون: ”وما أدراك ما هي - نار حامية - القارعة“، فيكون النص عندئذ كالبنية الدائرية المغلقة:

(1 - 2 - 3 | 3 - 2 - 1)

وهذه البنية المغلقة إنما تجسد الدلالة العامة لسورة القارعة، تلك الدلالة التي تشير، من جهة، إلى حتمية وقوع القارعة، بحيث تبدو كالدائرة المغلقة التي لا فرار منها، كما تشير، من جهة أخرى، إلى صوت القارعة المتكرر الشديد الذي يحيط بالناس إحاطة الدائرة بالمعصم.

وبالعودة إلى المثال المتعلق بمجيء الكاف الساكنة في فواصل آيات سورة (الشرح) - يمكن أن نلاحظ الإيقاع المتوالي الذي يظهر من ترداد صوت الكاف، قبل مجيئه في حرف الفاصلة بأربع أصوات، على نحو متكرر في كل آية من الآيات المقصودة:

34 هناك آيات أخرى تقوي النظر في دلالة التكرار، ولكنها آليات غير صوتية، مثل السؤال الذي جاء في الآية الثانية، والتشويق الذي أعقبه في الآية الثالثة. ومثل ذلك التنوع بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي.

[ألم نشرح لك - - - ك] [ووضعنا عنك - - - ك] [ورفعنا لك - - - ك]
فكأن الكاف الأولى تأتي مُمهّدةً لأختها في الفاصلة، فيكون وقعها أطف في النفس وأوقع في الأذن؛ بسبب المهاد، فمن شأن النفس أن ترتاح للنغم المكرر؛ لعلّة تتعلق بال تكرار المنظم للصوت، وما يثيره في النفس من ارتياح تطريبي، وأخرى تتعلّق بتوافق تكرار النظام الصوتي مع التوقع اللا شعوري للمتلقّي، ”فتتابع المقاطع على نحو خاص، سواء كانت هذه المقاطع أصواتاً، أو صوراً للحركات الكلامية، يهيئ الذهن لتقبّل تتابع جديد، من هذا النمط دون غيره“³⁵، فيتطابق التوقع الذهني مع الصورة الصوتية المتحققة للبنية المكررة، (وهذه وظيفة إيقاعية بحثة). ثم إن تكرار صوت الكاف على نَهج واحد، بحيث يفصل بين جرس صوتها الأول والثاني ثلاثة أصوات أخرى مختلفة هو نظام تكراري إيقاعي يأخذ شكل متوالية محددة. وأهم ما في دلالات المتوالية الإيقاعية أنها تترك انطباعاً في النفس على أنها مستمرة غير منقطعة، فيكون المعنى من الآيات أن هذه النعم التي أنعمت بها عليك يا محمد هي من قبيل النعم المستمرة التي لا نهاية لها (وهذه وظيفة ذات صلة بالمعنى العام للبنية).

بقي من آلية العمل في الأصوات، من أجل التحليل البلاغي، مسألة لا تخلو من خلاف، وهي اشتراط البدء بدراسة النص بلاغية لغوية تركيبية قبل الشروع في تحليل الأصوات فيه! فالقول بعدم ضرورة هذا الاشتراط مبني على أساس أن دارس الأصوات يصرف وكدّه في التحليل البلاغي للأصوات إلى ثلاثة جهات: جهة التمكين (الاختيار والتوزيع)، وجهة دلالة الصوت من حيث الإيحاء على المعنى (الأونوماتوبيا - onomatopoeia)، وجهة الإيقاع، وهي كلها غير محتاجة لاشتراط كهذا، فعلى أي أساس إذن بُني هذا الاشتراط، ولأيّ غاية جُعِل؟! لا يخلو البدء بالدراسة التركيبية البلاغية من أحد احتمالين؛ إما أن تكون ذات صلة وأثر وفائدة للدراسة التحليلية للأصوات، وإما ألا تكون؛ فعلى الوجه الأول يكون اشتراط وجودها صحيحاً، وعلى الوجه الثاني لا نعدم أن تعين هذه الدراسة على فهم أكبر للنص المدرّس، مما قد يساعد في تحليل أصواته بشكل غير مباشر. ولذلك فإننا نرى أنّ هذا الشرط أساسي لكل من يروم تناول الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم بالتحليل البلاغي. وذلك لأن هذه الدراسة تمكن الدارس من استيعاب النص على نحو أفضل، ولا سيما بسبب الصلة بين التحليل البلاغي للأصوات وبين التحليل البلاغي للتركيب اللغوي.

وبناء على ذلك يمكن القول إن أي دراسة بلاغية تتعلق بالظاهرة الصوتية في القرآن الكريم لا بد أن تقوم على أربعة أركان: البدء بدراسة النص بلاغية لغوية تركيبية، ثم استثمار ذلك

في دراسة الوظيفية التركيبية للأصوات (شبكة العلاقات)، ثم دراسة الأصوات من جهة دلالتها على المعنى (الأونوماتوبيا)، وأخيراً دراسة الأصوات من جهة الإيقاع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، مكتبة الحلواني ودار البيان ومطبعة الملاح، د.م، ج8/1972م.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود شاكر، مطبعة المدني - دار المدني، القاهرة-جدة، 1992.

جويو، جان ماري، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة: سامي الدروبي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1965م.

الحسناوي، محمد، الفاصلة في القرآن، دار عمار، عمان، 2000م.

رتشاردز، أ.أ، مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 2005م

السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م.

الصيغ، عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر - دار الفكر، بيروت - دمشق، 2000م.

ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

العزوي، سمير، التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، دار الضياء، عمان، 2000م

عياد، شكري، اللغة والإبداع، انترناشيونال برس، القاهرة، 1988.

الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار السرور، بيروت، 1955م.

قدور، أحمد، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، 1999م.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، د.ت.

ابن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز،

مكة المكرمة، 1996م.

المطعني، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992م
مطلوب، أحمد - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان- ناشرون، بيروت،
1996م.

الهدليّون، ديوان الهدليين، سلسلة المكتبة العربية، تصدرها: الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية
العربية المتحدة، 1965م
الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت،
د.ت.

ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر، بيروت، 2005م.

اليافي، نعيم، قواعد تشكّل النغم في موسيقى القرآن، مجلة التراث العربي، العدد 16-15، اتحاد
الكتاب العرب، دمشق، 1984م.

KAYNAKÇA

Azzavi, Semir. et-Tenğim'ul Lügavi Fi-l Kur'an'il Kerim. Amman: Dar-ul
Diya, 2000.

Cezeri, İbni Esir. Cami'ul Usul Fi Ahadis'i el-Resul. y.y.: Dar-ul Beyan,
1972.

Curcani, Abdulkahir. Delail-ul İ'caz. Cidde: Dar-ul Medeni, 1992.

Hasnevi, Muhammed. el-Fasile Fi-l Kur'an. Amman: Dar Ammar, 2000.

Hezilyyun. Divan'ul Hezliyyin. BAC: Silsilet'ul Mektebet'il Arabiyye,
1965.

Mat'ani, Abdulazim. Hasais'ut Ta'bir-il Kur'ani ve Simatuh'ul Belağiyye.
Kahire: Mketebet-u Vehbe, 1992.

Yafi, Naim. Kava'idu Teşekkül'in Nağm Fi Musika'l Kur'an. Dımaşk:
İttihad'ul Küttab'il Arap, 1984.

Nisaburi, el-Vahidi. Esbabu'n Nuzul. Beyrut: Alem'ul Kutub.

Sayğ , Abdulaziz. el-Mustalah'us Savti Fi-d Dirasat'il Arabiyye. Dımaşk:
Dar-ul Fikr, 2000.